Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واضح، لأن الغار وصحبة أبي بكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - قد نطق به القرآن، فصار كالصلاة والزكاة وغيرهما مما نطق به الكتاب، وأمر علي ونومه في الفراش، وإن كان ثابتاً صحيحاً إلا أنه لم يذكر في القرآن وإنما جاء مجيء الروايات والسير، وهذا لا يوازن هذا ولا يكايله. . .

والحجة العظمى للقائلين بتفضيل علي، قتله الأقران، وخوضه الحروب وليس له في ذلك كبير فضيلة؛ لأن كثرة القتل، والمشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أعظم الفضائل، وكان دليلاً على الرياسة والتقدم لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة، ومحمد بن مسلمة والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لم يقتل بيده ألا رجلاً واحداً، ولم يحضر الحرب يوم بدر، ولا خالط الصفوف، وإنما كان معتزلاً عنهم في العريش ومعه أبو بكر. . .

على أن مشى الشجاع بالسيف إلى الأقران على ما توهمه من لا يعلم باطن الأمر؛ لأن معه في حال مشيه إلى الأقران بالسيف أموراً أخرى، لا يصيرها الناس وإنما يقضون على ظاهر ما يرون، من إقدامه وشجاعته. . فربما كان سبب ذلك الهوج، وربما كان الغرارة والحداثة، وربما كان لمحبة النفج والأحدوثة، وربما كان طباعاً كطباع القاسي والرحيم، والسخي والبخيل[1].

هذا ولم يكن الجاحظ يحلل الموضوع فحسب، بل أنه إذا لزم الأمر، يحلل النفوس أيضاً، ويسبر أغوارها ليستشف طباعها، فإذا صور ذلك بقلمه رأيت عالماً نفسانياً في زي أديب، والأمثلة على ذلك كثيرة، فانظر إليه في تحليل نفس الحاسد وموقفه من المحسود. يقول:

الحسد - أبقاك الله - ينهك الجسد، ويفسد الأود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر. . . فمنه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة، ومنتج كل وحشة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الأقرباء، ومحدث التفرق بين الأقرناء، يكمن في الصدور كمون النار في الحجر.

---

(١) رسائل الجاحظ (للسندوبي) ص ١٠، ١١.